

## السعودية تتوءد بالرد في المكان والزمان المناسبين على الصواريخ الحوثية..

فهل باتت الحرب وشيكة وكيف؟ ولماذا تُشكرك بعض الآراء بفشل صواريخ "باتريوت"؟ وما هو الدور المتوقع لحكومة "الحرب الأمريكية" بعد اكتمال نصابها؟ وماذا يطبخ الأمير بن سلمان في واشنطن؟

عبد الباري عطوان

ما زالت المملكة العربية السعودية تعيش حالة الصدمة الناجمة عن إطلاق جماعة "أنصار الله" الحوثية سبعة صواريخ دُفعةً واحدة وصلت ثلاثة منها إلى قلب العاصمة الرياض فجر أمس، وتسببت بشكل مباشر، أو غير مباشر، في مقتل مُقيمٍ مصري، وإصابة ثلاثة آخرين، وأحداث أضرار مادية من جراء سقوط حطامها مثلما تُفيد الرقابة الرسمية، الأمر الذي اعتبره الكثيرون تصعيداً للمواجهة قد تترتب عليه نتائج خطيرة.

العقيد ركن تركي المالكي المتحدث باسم قوّات التحالف العربي التي تشن هجوماً على اليمن منذ ثلاث سنوات، اتهم إيران بتزويد الحوثيين بهذه الصواريخ بعد تفكيكها وتهريبها عبر ميناء الحديدة ومطار صنعاء، وتوءد برردٍ سعودي قويٍ "في المكان والزمان المناسبين".

القاسم المُشترك لمُعظم المقالات لكُتّاب الأعمدة في الصحف السعودية في الدخيل والخارج، هو توظيف عملية إطلاق الصواريخ هذه لإيصال رسالة "للمشركين" بجردوى إطلاق "عاصفة الحزم" قبل ثلاث سنوات، بأن هذا الهجوم الصاروخي يؤكد صوابية قرار القيادة بالتدخل العسكري في اليمن للقضاء على خطر الحوثيين باعتبارها أصبحت "ميليشيا" مُشابهة لـ "حزب الله" في لبنان، والحشد الشعبي في العراق، مثلما يُبرر خسائر هذه الحرب التي تجاوزت 120 مليار دولار، وكذلك الإنفاق العسكري الضخم لشراء مُعدات عسكرية وطائرات وذخائر تجاوزت 150 مليار دولار في الأعوام القليلة الماضية، لتوفير الاستعدادات اللازمة لمواجهة تبعاتها.

السؤال الذي لا يمكن تجنُّبه في هذا المِضمار هو حول كِيفِيَّة الرَّدِّ السُّعُودِي عَلَى هَذِهِ الصَّوَارِيخِ الَّتِي يُطْلَقُهَا الْحَوِثِيُونَ بِشَكْلِ مُتَوَاصِلٍ عَلَى مُدُنٍ رِئِيسِيَّةٍ فِي الْعُمُقِ السُّعُودِي، وَزَادَ تَعْدَادُهَا عَنْ 104 صَارُوخٍ بِالِيسْتِيَّةِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَحْجَامِ وَالْأَبْعَادِ، وَأَيْنَ سَيَكُونُ الْمَكَانُ الْمُنَاسِبُ لِلرَّدِّ، وَمَتَى سَيَحِينُ الزَّمَانُ الْمُلَائِمَ أَيْضًا؟ وَهَلْ سَيَكُونُ الرَّدُّ سِيَاسِيًّا عِبْرَ التَّفَاوُضِ لِحَلِّ سِيَاسِيٍّ يُنْهِئُ الْأُزْمَةَ، أَمْ عَسْكَرِيًّا يَتِمَثَّلُ فِي مُحَاوَلَةِ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْعَاصِمَةِ صَنْعَاءً، وَتَدْمِيرِ مَنَاطِقِ صَعْدَةِ الْمَقَرِّ الرَّئِيسِيِّ لِتِيَّارِ "أَنْصَارِ" بِضَوْءٍ أَخْضَرَ وَدَعْمٍ أَمْرِيكِيٍّ.

قَبْلَ الْإِجَابَةِ عَلَى هَذِهِ التَّسْأُلَاتِ الْمُهِمَّةِ وَالْمَشْرُوعَةِ هُنَاكَ أَوْلَوِيَّةٌ مُلْحَظَةٌ تُوَجِّهُ الْقِيَادَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ السُّعُودِيَّةَ تَتِمَثَّلُ فِي تَوْفِيرِ وَسَائِلِ الرَّدِّ دَعِ الْفَاعِلَةَ لِلتَّصَدِّيِّ لِهَذِهِ الصَّوَارِيخِ الْحَوِثِيَّةِ بَعْدَ وُرُودِ تَقَارِيرِ نَشْرَتِ فِي صُحُفٍ أَمْرِيكِيَّةٍ تُؤَكِّدُ عَدَمَ جَاهِزِيَّةِ صَوَارِيخِ "بَاتْرِبُوت" فِي التَّصَدِّيِّ لَهَا وَتَحْيِيدِ خَطَرِهَا بِالْكَامِلِ.

مَجَلَّةُ "نِيوزويك" الْأَمْرِيكِيَّةِ نَقَلَتْ عَنِ جِيْفْرِي لُويْسِ مَدِيرِ بَرَامِجِ مَنَعِ انْتِشَارِ الْأَسْلِحَةِ فِي مَعْهَدِ "مِيدَلْبُورِي" فِي كَالِيفُورْنِيَا قَوْلَهُ "أَنْزَهُ مِنْ خِلَالِ تَحْلِيلِ الْفِيدِيُوهَاتِ الْأُولِيَّةِ الْمُتَوَفَّرَةِ لِعَمَلِيَّةِ إِسْقَاطِ الصَّوَارِيخِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى الرَّيَاضِ يُمَكِّنُ الْاِسْتِنْتَاجَ أَنْ صَارُوخَيْنِ مِنْ طِرَازِ "بَاتْرِبُوت" فَشَلًا فِي إِصَابَةِ أَهْدَافِهِمَا، الْأَوَّلُ انْفَجَرَ فِي الْجَوِّ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الصَّارُوخِ الَّذِي انْطَلَقَ لِتَدْمِيرِهِ، وَالثَّانِي اسْتَدَارَ سَرِيعًا نَحْوَ الْأَرْضِ بِمُؤَرَّةٍ كَارِثِيَّةٍ".

التَّشْكِيكُ فِي قُوَدْرَاتِ وَفَاعِلِيَّةِ صَوَارِيخِ "بَاتْرِبُوت" هُوَ الَّذِي دَفَعَ الْقِيَادَةَ السُّعُودِيَّةَ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى مَوْسُكُو وَالِاتِّفَاقِ عَلَى شِرَاءِ مَنَظُومَةِ "إِس 400" الرَّوسِيَّةِ الْمُضَادَّةِ لِلطَّائِرَاتِ وَالصَّوَارِيخِ، وَفَعَلَتْ دَوْلٌ عَدِيدَةٌ مِثْلَ تَرْكِيَا الشَّيْءِ نَفْسِهِ، وَلَكِنْ تَسْلِيمُ هَذِهِ الصَّوَارِيخِ رَبَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى عِدَّةِ أَشْهُرٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ، وَهَذَا التَّوَجُّهُ السُّعُودِي لِشِرَاءِ صَوَارِيخٍ مِنْ رُوسِيَا يَعْكِسُ قَنَاعَةَ مِيدَانِيَّةٍ بِفِشَلِ صَوَارِيخِ "الْبَاتْرِبُوت" أَوْ عَدَمِ إِظْهَارِ الْكِفَافَةِ الْمَأْمُولَةِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْعَاصِمَةِ السُّعُودِيَّةِ، وَالْمُدُنِ الْأُخْرَى، الْأَمْرُ الَّذِي سَيُشْكَرُ لِمُضَرِبَةٍ لِلصَّنَاعَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الصَّوَارِيخِ بِالذَّاتِ.

نَعُودُ إِلَى سُؤَالِنَا فِي بَدَايَةِ هَذَا الْمَقَالِ حَوْلَ كِيفِيَّةِ الرَّدِّ السُّعُودِي عَلَى الْحَوِثِيِّينَ أَوْ لَا، وَإِيرَانَ الْمُتَّهَمَةَ بِدَعْمِهِمْ ثَانِيًا، وَنُزْجِجُ أَنْ يَتْرَكُ هَذَا الرَّدُّ عَلَى جَبْهَتَيْنِ: الْأُولَى سِيَاسِيَّةٌ تَتِمَثَّلُ فِي ضَبْطِ النَّفْسِ وَالتَّعَاوُنِ مَعَ الْمَبْعُوثِ الدَّوْلِيِّ الْجَدِيدِ فِي حَرْبِ الْيَمَنِ مَارْتِينَ غْرِيفِيثَ، وَمُحَاوَلَةِ إِحْيَاءِ الْمُبَادَرَةِ الْأُمَمِيَّةِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى مَائِدَةِ الْمُفَاوِضَاتِ خَاصَّةً بَعْدَ حَلِّ عُقُودِ التَّمْثِيلِ الْمُزْدَوِجِ، وَبِرَأْسَيْنِ لِلجَانِبِ الْيَمَنِيِّ وَبُرُوزِ "أَنْصَارِ" كَقُوَّةٍ رِئِيسِيَّةٍ شَبِيهِ وَحِيدَةٍ، بِاِغْتِيَالِ الرَّئِيسِ عَلِيِّ عَبْدِ اللَّهِ صَالِحٍ، وَتَفَكُّكِ حِزْبِ "الْمُوْتَمِرِ" الَّذِي كَانَ يَتَزَعَّمُهُ، وَالثَّانِيَّةُ التَّوَجُّهُ إِلَى الْمُنْظَمَةِ الدَّوْلِيَّةِ لِتَشْكِيلِ لَجْنَةٍ تَحْقِيقِ لِكَشْفِ كِيفِيَّةِ وَصُولِ هَذِهِ الصَّوَارِيخِ إِلَى

الحوثيين، كمُقَدِّمة للتصعيد وربما الرَّد.

الحرب المباشرة ضد إيران مُستبعدة في الوقت الرَّاهِن على الأقل، ولكن الحرب غير المباشرة مُحتملة، وفي الأسابيع والأشهر القليلة المُقبلة، فالقرار الأمريكي بالانسحاب من الاتفاق الذَّويّ الإيراني ربَّما يُوفِّر الأرضية المُلائمة لها، لأن ترامب بإبعاد ريكس تيلرسون، وزير الخارجية، وانش آر مكسترن، مُستشار الأمن القومي، واستبدالهما بمايك بومبيو، رئيس الـ"سي أي إيه" السابق، وجون بولتون العُنصري المُتشدِّد، يَكُون قد أكمل تشكيل وزارة حرب ضد إيران. قبل عام هَدَّد الأمير محمد بن سلمان في مُقابلةٍ تلفزيونيةٍ مع الزميل داوود الشريان بأنَّه لن يَنْتظر تصدير إيران الحرب إلى العمق السعودي، وسيُبادر بِنقلها إلى عمقها، وإذا كانت إيران تَقِف خلف قرار الحوثي بِقصف الرياض بصواريخ من صنعها، فإنَّها سَيَقته في هذا المضمار. ما قَمَدَه الأمير محمد بن سلمان هو تَفجير الأزمات داخل إيران من خلال حرب استنزاف ودَعَم الأقليات الطائفية والعرقية المُعارضة للنظام الإيراني، مثل البلوش السُّنَّة، والأذريين، والأكراد، والقائمة تطول، وفرض عُقوباتٍ اقتصاديةٍ في الوقت نفسه لإنهاك الاقتصاد الإيراني، ولكن مُحاولات مُماثلة أعطت نتائج عكسية، أبرزها اتِّخاذ قرارات بإغراق الأسواق العالمية بأكثر من مِليوني برميل من الذَّفط لِخفض الأسعار لتفليس العوائد الإيرانية، ممَّا أدَّى إلى انهيار الأسعار بِمقدار النصف وكانت السعودية ودُلُفاؤها من أبرز المُتضرِّرين.

\*\*\*

السُّلطات السعودية تَحوض حربًا سياسية وإعلامية ضد إيران ودُلُفاؤها في لبنان (حزب الله)، وفي سورية بدعم الفصائل المُعارضة وتسلحها، ونتائج هذه الحرب لم تُحقِّق الغرض المطلوب منها، فها هو "حزب الله" يَزداد قُوَّة، وكذلك الحشد الشعبي في العراق، ويُمَدَى "جيش الإسلام"، الحليف السعودي الفَويّ في الغُوطَة السورية، بهزيمةٍ شبيهة مُؤكَّدة.

حالتا الهلع والخوف اللاتَّان نَجَمتا عن الصَّواريخ الثلاثة التي أطلقها الحوثيون على الرِّياض، ربَّما تُشجِّعهم على إطلاق المزيد إذا لم تُعطى أُكُلها في أحداثٍ مُرونةٍ في الموقِف السعودي، والدَّفْع بالعودة إلى مائدة المُفاوَصات، ولكن إقدام القيادة العسكرية السعودية على شنِّ هجمات جويةٍ مُكثَّفةٍ وانتقاميةٍ على صعدة وصنعاء وتجمُّعات الحوثيين غير مُستبعدة أيضًا.

الصَّواريخ الحوثية السَّبعة الأخيرة قد تُؤدِّي إلى واحدٍ من أمرين، الأوَّل أن تُعجِّل بإيجاد حلٍّ سياسيٍ للأزمة اليمنية، أو تقود إلى تَفجير منطقة الشَّرق الأوسط بِرمِّتها، أو حربٍ غير مُباشرة وأكثر دمويةٍ بين السعودية وإيران، ولا حلَّ ثالثًا في الوَسَط، ومن يَعرِف القيادة الشابة الحالية صاحبة القرار الأوَّل والأخير في الرِّياض، ربَّما يُرجِّح الأمر الثَّاني أي التَّصعيد.. والله أعلم.

